ظاهرة النزوح وعلاقتها بالتحصيل الدراسي والتوافق العام لدى الطلاب: دراسة حالة طلاب المرحلة الثانوية في مدينة زالنجي (دارفور ــ السودان)

عثمان محمد بابكر الجزولي(*)

أستاذ مساعد في كلية الاقتصاد والدراسات الاجتماعية، جامعة زالنجي ـ السودان.

أحمد محمد عمر جنقو

محاضر في كلية التربية، جامعة زالنجي ـ السودان.

مقدمة

تعدّ قضايا اللجوء والنزوح اليوم من أعقد القضايا التى تواجه البشرية جمعاء، وخاصة في ظلّ تبعات العنف والاضطهاد اللذين خلّفا تهجيراً قسرياً في بقاع متعدّدة من العالم، حيث كانت الإنسانية هي الضحية الأولى في كل ذلك (الزغل، ٢٠٠٤: ٤).

ولا شك في أن أهم أسباب تدفق النازحين الصراع المسلح والاقتتال. وقد شهد العالم أنواعاً متعدّدة من الحروب، كانت في معظمها من أجل التحرر من الاستعمار، ومتعلّقة بخرق حقوق الإنسان والتطهير العرقي، كما في البوسنة والهرسك ورواندا، أو متعلّقة بالسلطة والاستيلاء عليها أو بالصراعات القبلية، خاصة صراعات الكلأ والماء (إبراهيم، ١٩٩٩: ٤٨).

أما في السودان، فقد برزت ظاهرة النزوح بصورة لافتة بعد موجة الجفاف والتصحّر التي ضربت السودان في العام ١٩٨٣، وأدت إلى نزوح عدد كبير من أبناء الأقاليم المتأثرة بالجفاف إلى العاصمة والمدن الكبرى، الذين اتخذوا من المباني العشوائية مسكناً لهم، ثم زاد الوضع سوءاً بتردّي الأوضاع الأمنية في جنوب السودان في ذلك الوقت، فزادت مشكلة النزوح حدّة، ونتج منها انتشار معسكرات النازحين، وشوّهت البنية التحتية في أماكن الاستقبال (إبراهيم، ١٩٩٩: ١٩).

وآخر أسباب النزوح في السودان حرب دارفور التي أدت إلى نزوح أعداد كبيرة من السكان من الأرياف إلى المعسكرات حول المدن وداخلها، هذه المعسكرات تحوي أعداداً كبيرة من سكان دارفور، حيث أصبح السكان تحت رعاية المنظّمات الدولية لعدة سنوات منذ بداية الأزمة، الأمر الذي أدى إلى ضرورة إيجاد حلول لكثير من قضايا ومتطلبات النازحين، التي يأتي التعليم في أولها بعد السكن والغذاء. ولقد كانت هناك معالجات لعملية التعليم في

(*) البريد الإلكتروني: osmanbabikir2002@yahoo.com.

المعسكرات وفي مدارس المدن التي تستضيف المعسكرات، ومثل هذه المعالجات تحتاج إلى الدراسة والفحص العلمي لتحديد مدى نجاحها في مساعدة المواطنين النازحين. فمن هذه الأهمية جاءت هذه الدراسة للوقوف على علاقة النزوح ومدته بالتحصيل والتوافق الدراسي لدى طلاب المدارس الثانوية النازحين في مدينة زالنجي (العام الدراسي ٢٠٠٦ ــ ٢٠٠٧).

تتلخص إشكالية هذا البحث في الإجابة عن سؤال محوري هو: ما هي علاقة النزوح ومدة الإقامة في المعسكرات بالتحصيل الدراسي والتوافق العام لطلاب المدارس الثانوية النازحين في مدينة زالنجي؟

هذا السؤال المحوري تتفرّع منه الأسئلة الآتية:

ــ ما هي الفروق بين التلاميذ والتلميذات المقيمين في المعسكر في التحصيل الدراسي؟

ــ ما هي الفروق بين التلاميذ والتلميذات المقيمين في المعسكر في التوافق العام؟

ــ ما هي علاقة مدة الإقامة في المعسكرات بالتحصيل الدراسي للتلاميذ والتلميذات؟

ــ ما هي علاقة مدة الإقامة في المعسكرات بالتوافق العام للتلاميذ والتلميذات؟

نظرياً، تمثل هذه الدراسة إضافة إلى ما تم من بحوث ودراسات لموضوع النزوح وعلاقته بالعملية التعليمية، وكذلك تلقي الضوء على شريحة الطلاب النازحين، والظروف التي يدرسون فيها. وتطبيقياً، يمكن الاستفادة من نتائج هذه الدراسة في الوقوف على مستوى التحصيل الدراسي والتوافق لدى الطلاب النازحين، مما يفيد في وضع وتنفيذ برامج تساعد على تحسين التحصيل والتوافق، وإيجاد البيئة المدرسية المساعدة للتوافق في هذه الظروف الخاصة، كما يمكن الاستفادة من نتائج هذه الدراسة بتعميمها على البيئات المشابهة.

أولاً: الإطار المفاهيمي

١ ـ ظاهرة النزوح: المفهوم والأسباب

يمثل النزوح شكلاً من أشكال الهجرة، ولكن تحت ظروف خاصة. والنازحون هم مواطنون تركوا ديارهم الأصلية إلى أجزاء أخرى من القطر، وذلك بسبب الكوارث الطبيعية أو الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة (يعقوب، ٢٠٠٦: ١٠).

والهجرة تعني حركة القوى البشرية بين المناطق والقطاعات الاقتصادية، وبين المهن. والاعتقاد السائد وسط الكثيرين أن الهجرة الداخلية تشمل بالتحديد النزوح من منطقة الإقامة والميلاد إلى منطقة المهجر، وهناك أنواع عديدة من الهجرة الداخلية، منها:

أ ــ الهجرة من الوسط الريفي إلى الوسط الحضري، وهو ما يُعرف بالهجرة من الريف إلى الحضر.

ب ــ الهجرة من الوسط الحضري إلى الوسط الحضري.

ج ــ الهجرة من الوسط الحضري إلى الوسط الريفي (يعقوب، ٢٠٠٦: ٧).

وتختلف دوافع الهجرة، فمنها ما هو اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي، أو بسبب الكوارث الطبيعية. وهناك عدة تصنيفات للهجرة، فمن حيث إرادة المهاجر، تصنّف الهجرات إلى هجرات اختيارية (طوعية) وهجرات قسرية (غير طوعية). ففى حالة الهجرات الطوعية، يكون قرار المهاجر خالصاً بمحض إرادته، بعكس الهجرات القسرية التى يضطر معها المهاجر إلى الهجرة نجاة بحياته أو خوفاً من فقدان وسائل رزقه أو كسبه (عثامنة، ٢٠٠٤: ١٤٥).

من حيث المكان، تنقسم الهجرات إلى قسمين: النزوح، وهو أن يهاجر الفرد أو الجماعة داخل حدود بلد إقامته، واللجوء، وفيه يعبر المهاجر القسري حدوداً دولية (عثامنة، ٢٠٠٤: ١٤٥). ويتميّز النزوح من الهجرة بأن النزوح نوع من أنواع الهجرة، لكنها قسرية، ولاإرادية، وغير اختيارية، لذلك تخلق خوفاً وتوجسّاً لدى مناطق الاستقبال، التي يصعب عليها استيعاب هذا الكمّ من البشر في وقت واحد مهما كانت الإمكانيات (إبراهيم، ١٩٩٩: ١٩).

نجد أن مصطلح «النزوح» يختلف عن مصطلح «اللجوء»، فاللاجئون عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين اضطروا أو أجبروا على الخروج عنوة من ديارهم، بسبب الحرب أو الجفاف أو الاضطهاد الديني أو العرقي أو الكوارث الأخرى، وعبروا حدود دولتهم طلباً للحماية والأمن والسلامة والسكن والمأكل في بلد آخر (إبراهيم، ١٩٩٩: ١٩).

ويتفق النزوح واللجوء في أنهما هجرتان قسريتان وغير اختياريتين، فالنزوح يكون داخل القطر الواحد، أما اللجوء فيكون إلى قطر آخر، ولكن النازح مواطن عادي يتمتع بالحقوق والواجبات نفسها التي يتمتع بها مواطنو بلده، ولا يعَامل معاملة اللاجئ. أما الوافد، فيختلف عن النازح واللاجئ. فالوافد هو الشخص الذي يهاجر من دولته إلى دولة أخرى، وتتم الهجرة بصورة طوعية واختيارية، وغالباً ما تكون أسبابها اقتصادية بغرض البحث عن فرص عمل أفضل أو عن التعليم. ويتم ذلك في أوقات السلم العادية (يعقوب، ٢٠٠٦: ١٢).

هناك عدد من الأسباب التي تؤدي إلى النزوح في السودان، وهي كالآتي:

ـ النزوح نتيجة لظروف طبيعية، كالجفاف والتصحر، وقد حدث هذا في الفترة ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤.

ـ النزوح نتيجة السيول والفيضانات التي اجتاحت السودان في العام ١٩٨٨.

ـ النزوح بسبب الأوضاع الأمنية، وهذا من أكبر الأسباب التي تؤدي إلى النزوح في السودان. فحرب الجنوب أدت إلى نزوح أعداد كبيرة من المواطنين من جنوب السودان إلى الدول المجاورة ومدن شمال السودان، وهذا خلال الحرب التي اندلعت في العام ١٩٥٥، واستمرت حتى العام ١٩٧٢، تاريخ توقيع اتفاقية أديس أبابا التي بموجبها انتهت الحرب في ذلك الوقت.

ثم تجدّدت الحرب مرة أخرى في العام ١٩٨٣، واستمرت حتى العام ٢٠٠٤، لتنتهي بتوقيع اتفاقية السلام، التي أنهت بذلك أطول حرب شهدتها القارة الأفريقية. وقد أدت

هذه الحرب إلى موجات نزوح كبيرة إلى المناطق الآمنة في شمال السودان والدول المجاورة (يعقوب، ٢٠٠٦: ١٥ ــ ١٦).

ونجد أيضاً الحرب في جبال النوبة في مطلع العام ١٩٩٣ التي أدت إلى نزوح أعداد كبيرة من أهالي جبال النوبة إلى مدن شمال السودان. ونلاحظ أن الحروب في السودان شبه مستمرة، فحرب دارفور أخيراً أدت إلى موجات كبيرة من النزوح عندما تفجرت الصراعات في آذار/مارس ٢٠٠٣، وما زالت مستمرة حتى الآن، رغم توقيع بعض الفصائل المحاربة على الاتفاقية الخاصة بسلام دارفور. وقد أدى هذا الصراع في دارفور إلى نزوح أعداد كبيرة من سكان القرى إلى المعسكرات حول المدن أو داخلها، وما زال وضع النزوح قائماً لعدم توقف الحرب.

٢ ـ الحرب والنزوح في دارفور

تعود جذور المشكلة في دارفور إلى ما قبل الاستقلال، إلا أنها بدأت تتفاقم في مطلع السبعينيات بسبب موجات الجفاف والزحف الصحراوي، وتناقص معدلات الموارد الطبيعية، فتبع ذلك التنافس على الماء والمراعي والزراعة وحيازة الأرض والزعامة الإدارية والسياسية، وزاد من حدّة الأزمة ضعف مشروعات التنمية، وانتشار البطالة، وتوفر السلاح، وانتشار عمليات النهب المسلح. أما الصراع الحالي، فقد تفجّر في آذار/مارس ٢٠٠٣، وترتبت عليه أوضاع إنسانية بالغة التعقيد. وكنتيجة حتمية للهجمات المسلحة، نزح الآلاف من سكان ولايات دارفور عن قراهم وأماكن إقامتهم المعتادة. وقد أفرزت ظاهرة النزوح هذه أوضاعاً إنسانية سيئة التعقيد (عبد القادر، ١٩٨٨: ٦٨). وتشير بعض الدراسات إلى أنه إلى الآن لم يتمّ تحديد العدد الكلي للنازحين في دارفور، ولكن الأرقام المتداولة تشير إلى أن أعداد النازحين تتراوح ما بين ٢,٠٠٠,٠٠٠ إلى ٢,٥٠٠,٠٠٠ نازح (يعقوب، ٢٠٠٦: ٢١).

٣ ـ الآثار المترتبة على النزوح

تتمثل الآثار المترتبة على النزوح في الآتي:

أ ـ الآثار الاقتصادية

يؤثر النزوح في القطاع الاقتصادي تأثيراً بالغاً، وذلك بسبب تدفق أعداد كبير من النازحين من مناطق الإنتاج إلى المعسكرات والمناطق الحضرية. ويتضح هذا من التركيبة العمرية للنازحين، حيث إن حوالى ٨٣ بالمئة من النازحين هم من الفئة العمرية ٢٠ ــ ٥٠ سنة، أي أكثر الفئات النشطة اقتصادياً، حيث تركوا مزارعهم ومراعيهم ومتاجرهم وبيوتهم، وترتب على ذلك انخفاض العائد من إنتاج الصمغ العربي في غرب السودان، وهبوط إنتاج الحبوب إلى أقل معدلاته. أما الثروة الحيوانية، فقد تأثرت بدورها بموجات الجفاف والتصحّر، وأدى ذلك إلى فقدان الملايين من قطعان الماشية (يعقوب، ٢٠٠٦: ٢٣).

ففي مجال الزراعة، يؤثر النزوح بصورة خاصة في القطاع الزراعي التقليدي الذي يعتمد

على الطبيعة بصورة كبيرة، فهو من القطاعات الفعّالة والمؤثرة في القطاع الزراعي السوداني، بحيث يسهم، بالإضافة إلى القطاع المروي، بنسبة مقدرة من الناتج المحلي الإجمالي.

أما في مجال الثروة الحيوانية، فيتضح أثر النزوح في أن الذين كانوا يعملون في الرعي في مناطقهم الأصلية لم يرجعوا إلى مهنة الرعي مرة أخرى. فنجد فقط ٥ بالمئة منهم قد عمل في قطاع الرعي في منطقة النزوح، وبالتالي فقدت البلاد خبرات ثرّة في مجال الثروة الحيوانية، بسبب النزوح (إبراهيم، ١٩٩٩: ٨٥ ـ ٩٦).

وكذلك من آثار النزوح في الاقتصاد تأثيره في العمل في منطقة الأصل، حيث ترك كثير من الزرّاع والرعاة مزارعهم وحيواناتهم لينضمّوا إلى جيش المتبطّلين عن العمل. إضافة إلى ما سبق، فإن للنزوح آثاراً كبيرة في اقتصاد الدول ومشاريع التنمية فيها.

ب ـ الآثار الاجتماعية

نجد أن النازحين في مناطق المنشأ، وقبل نزوحهم، يعيشون حياة اجتماعية مترابطة تحكمها روح القبلية والأسرة الممتدة. وعند انتقال النازح إلى المدينة يشعر بالفارق بين مجتمعه والمجتمع الجديد الذي وفد إليه (يعقوب، ٢٠٠٦: ٢٣)، مما يجعله يحاول التوافق مع المجتمع الجديد، الأمر الذي يؤدي إلى تفكّك الأسر، وتدهور الرابطة القبلية، بحيث يبدأ النازحون العيش في حياة انفرادية، ويهيم الأطفال في الشوارع، وتنتشر النساء في المدن الكبرى، يبعن مختلف أنواع المأكولات والسلع.

ويشير إبراهيم (إبراهيم، ١٩٩٩) إلى أن النزوح قد أثر في الثقافة واللغة والعادات والتقاليد في منطقة النزوح، فكثير من النازحين تركوا ثقافتهم، وتطبّعوا بثقافة المدنية، وأصبحوا يقلّدون سكان الحضر، كما تركوا لغتهم ولهجاتهم المحلية، وكذلك عاداتهم وتقاليدهم القبلية والريفية، فأصبحوا يتقلّدون بتقاليد الحضر، فسادت وسطهم الانفرادية بدلاً من روح الجماعة، وقلّت الشهامة وسطهم، وسادت المادية، وانفرط عقد التواصل بين الصغير والكبير، وبدأ شيخ القبيلة يفقد كثير من احترام أعضاء قبيلته. وبعد أن كانوا أعزة في مناطقهم، تحوّلوا إلى متسوّلين وعاطلين عن العمل وأصحاب مهن هامشية.

ونشير إلى أن النزوح يؤدي إلى زيادة عدد السكان على الخدمات، مما يؤدي إلى تدني هذه الخدمات، مثل الصحة والتعليم والنقل والمواصلات والسكن والأمن واستهلاك السلع، وهو ما يؤدي بالتالي إلى تدني الأحوال المعيشية عموماً. وقد توصل جلال الدين (جلال الدين، ١٩٧٩) في دراسته عن الهجرة الوافدة والهجرة الداخلية في السودان إلى أن الهجرة الداخلية أدت إلى الضغط على الخدمات التي تقدمها المدن لساكنيها، وإلى ضعف فرص العمل، مما أدى إلى تفشي البطالة.

إن للنزوح آثاراً، وهي في معظمها سلبية، في النازحين أنفسهم، وفي المناطق الطاردة، وفي مجتمع منطقة الاستقبال. وتتمثل الآثار في النازحين في تدهور نوعية السكن والخدمات الاجتماعية، خاصة التعليم، وغياب المعايير الصحية، حيث إن أكثر من ثلث الأسر النازحة لم يتمكّن عائلها من إيجاد عمل مع تدني الأنشطة التي يقومون بها (إدريس، ١٩٨٥).

ويمكن أن نلاحظ أثر النزوح في الأحوال المعيشية، إذ إن حياة النازحين تتسم بالفقر، وذلك للأسباب الآتية:

ـ الافتقار إلى التأهيل الأكاديمي والمهني اللازم للعمل في المجتمع الحضري.

ـ صعوبة إيجاد فرص عمل.

ـ انعدام الدخل، وعدم كفايته.

ـ انعدام الأنشطة الإنمائية المدرّة للدخل داخل المعسكرات.

ـ اهتمام المنظمات الأجنبية بالإغاثة أكثر من المجالات المعيشية الأخرى.

ـ ضعف مشاريع زيادة الدخل.

ج ـ الآثار في التعليم

إن النزوح ليس تحرك أفراد، بل تحرك أسر بأكملها، وأكثرهم من الشباب والأطفال الذين هم في سنّ التعليم، وقد ترتب على ذلك ضغوط كثيرة على مرافق التعليم في منطقة الاستقبال، هذا بالإضافة إلى ضعف وانعدام الرغبة في التعليم، وقلّة الكوادر التعليمية المؤهلة، وانخفاض مستوى كفاءاتها. أما في ما يتعلق بالصعوبات التي تواجه الكوادر التعليمية من حيث الأدوات والوسائل، فهذه الظروف أدت إلى نقص الخدمات التعليمية للنازحين، وتدهور أوضاعهم التعليمية (إبراهيم، ١٩٩٩: ١٤٨).

ونذكر هنا أن هناك بعض الإشكالات التربوية في التفاعل مع أبناء النازحين في ظلّ تفكّك الأسر، وسوء الأوضاع المادية للأسر. ونجد أغلب الأطفال يعملون لساعات طويلة، وفي الوقت نفسه فإن بعضهم لا يعطّل أيام الجمعة والعُطَل الرسمية.

هكذا نلاحظ أن النزوح يؤثر تأثيراً كبيراً في العملية التعليمية لأبناء النازحين، الأمر الذي ينبّه إلى ضرورة توجيه عناية خاصة جداً بالعملية التعليمية في أوساط أبناء النازحين، ووضع برامج تربوية موجّهة تراعي ظروف الطلاب المقيمين في المعسكرات.

د ـ الآثار السياسية والأمنية

في مجال الآثار السياسية، نجد أن نزوح مجموعة بشرية بمشايخها وسلاطينها، وكل تكويناتها القبلية، يؤدي إلى حدوث خلل في التكوين السياسي القاعدي في منطقة المنشأ، وارتباك في التكوين السياسي في مناطق الاستقبال. ويرجع السبب في ذلك إلى عدم مقدرة المناطق الأصلية ـ منطقة المنشأ ـ على تعويض هذا الفاقد البشري من ناحية، وعدم مقدرة مناطق الاستقبال على امتصاص هذا الكمّ الهائل من النازحين داخل قاعدته السياسية المستقرّة، مما يؤدي إلى تدهور الأوضاع السياسية في منطقة الاستقبال (يعقوب، ٢٠٠٦: ٢٦).

أما في الجانب الأمني، فتتضح الآثار من خلال النازحين الذين يمثلون مجموعات قبلية كاملة. فمن خلال النزوح نجد هذه الآثار تنقل معها صراعاتها القبلية والعرقية، الأمر الذي يترتب عليه زعزعة الاستقرار الأمني، كما أن التعارض بين عادات وتقاليد القبائل النازحة،

من جهة، مع عادات وتقاليد سكان المناطق الأصلية المجاورة لهم من جهة أخرى، أدى إلى حدوث عدد من الصدامات، الأمر الذي أدى إلى اختلال الأمن (يعقوب، ٢٠٠٦: ٢٧).

وفي سياق معمّم أورد علي (علي، ٢٠١٠) أن هناك آثاراً خطيرة تأثر بها مجتمع دارفور بصفة خاصة، والمجتمع السوداني بصورة عامة، كنتاج للنزاع الدائر منذ العام ٢٠٠٣، وما ترتب عليه من نزوح ولجوء، ومن أهم هذه الآثار نذكر:

ـ ازدياد حالات سوء التغذية، وارتفاع معدلات حالات الوفيات لدى الأطفال والنساء وكبار السن.

ـ تفشي الجرائم الدخيلة على المجتمع.

ـ بعض المؤثرات السلبية للمنظمات.

ـ تفشي العطالة وسط الشباب، مما دفعهم إلى الانخراط في التمرّد وأعمال النهب المسلح.

ـ الغلاء وزيادة الأسعار وانفراط النسيج الاجتماعي.

ثانياً: مفهوم التوافق العام

تتضمّن عمليات التربية والتعليم، بشكل عام، مجموعة من القرارات المستمرة، وفي شكلها الخاص يتمحور اهتمامها بالمتعلم الذي هو بلا شك محور العملية التربوية. وهذا يعني، بشكل دقيق، الاهتمام بمسائل القياس والتقييم؛ القياس عموماً هو الحصول على تقديرات دقيقة للأشياء لتحديد الفروق الكمّية بين الأشياء. وهناك مصطلح آخر لبيان قيمة الشيء هو التقييم، وهو عملية منظّمة لجمع المعلومات حول ظاهرة ما، وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها لمعرفة مدى بلوغ أهداف التعلّم، وذلك للوصول إلى أحكام عامة بهدف اتخاذ القرارات الملائمة (أبو جادو، ٢٠٠٥: ٣٩٧ ـ ٤٠٧).

ومن أهم المقاييس وأدوات التقييم المستخدمة، نجد مقياس التوافق، فما هو التوافق؟

التوافق في اللغة يعني الانسجام والمؤازرة والمشاركة والتضامن، وهذه كلها مصطلحات تعني التآلف والتقارب، أي على النقيض من التحالف والتقارب والتصادم، وهو غير الاتفاق الذي يعني المطابقة التامة (عثمان، ١٩٩٤).

أورد أبو القاسم أن مفهوم التوافق استُخدم أولاً في العلوم البيولوجية، بمعنى قدرة الكائن الحيّ على التواؤم مع الظروف البيئية، واستعار علماء النفس هذا المفهوم في مجال السلوك الاجتماعي تحت اسم التوافق (أبو القاسم، ٢٠٠١).

وعموماً، يشير الخالدي (الخالدي، ٢٠٠٢) إلى أن التوافق هو وسيلة الإنسان لتحقيق غاياته وإشباع دوافعه، من خلال تفاعله المرن مع مطالب الحياة المتغيّرة، كي يضع نفسه في موقع أقرب إلى التوازن، حتى يكفل لنفسه البناء البيولوجي والسيكولوجي المناسب، حيث إن مجالات التوافق متعدّدة. لذلك، فإنه من المحتمل أن يكون الفرد متوافقاً في مجال ما، وغير متوافق في مجال آخر، وكذلك فإن الأنماط التوافقية هي أيضاً ليست واحدة، وإنما متعددة،

نظراً إلى اختلاف الأساليب التوافقية التي يتّبعها الناس (الخالدي، ٢٠٠٢: ٩٠).

وفي نظرته نحو المفهومين، أورد أبو القاسم أن مفهوم التوافق أعم وأشمل من مفهوم التكيف (أبو القاسم، ٢٠٠١)، فالتوافق يشمل النواحي النفسية والاجتماعية، أما التكيّف فيهتم بالنواحي البيولوجية.

من حيث الأبعاد، يشير أديب (الخالدي، ٢٠٠٢) إلى أن عملية التوافق العام تحتوي على جانبين، هما: التوافق الشخصي، والتوافق الاجتماعي.

ويقصد بالتوافق الشخصي مجموعة من الاستجابات المختلفة التي تدلّ على تمتّع الفرد بالأمن الشخصي، كما يتمثل في اعتماده على نفسه وإحساسه بقيمته، وشعوره بالحرية في توجيه السلوك من دون السيطرة على الغير، والشعور بالانتماء، والتحرر من الميل إلى الانفراد، والخلو من الأعراض العصابية، وكذلك شعوره بذاته، وبرضاه عن نفسه، وبخلوّه من علامات الانحراف النفسي.

أما التوافق الاجتماعي، فيقصد به مجموعة من الاستجابات المختلفة التي تقوم على أساس شعور الفرد بالأمن الاجتماعي، والتي تعبّر عن علاقات الفرد الاجتماعية المختلفة، والتحرر من الميول المضادة للمجتمع، والعلاقات الأسرية الطيبة، والعلاقات الجيدة في محيط البيئة المحلية، وعلاقاته بالمدرسة، واتباعه للمحتويات الاجتماعية واكتسابه لها.

هناك مصطلح آخر يأتي مرادفاً لمصطلح «التوافق»، ولكن رغم اختلاف العلماء في معانيهما، فإن مصطلح «التوافق» هو المعنى الأقرب إلى موضوع هذه الدراسة. هذا المصطلح هو التكيّف الذي يعني، طبقاً لدسوقي (دسوقي، ١٩٧٦)، مصطلحاً أعمّ يشمل الجوانب العضوية والاجتماعية في سلوك الكائن الحيّ، حيواناً أكان أم إنساناً، بينما يقتصر التوافق على الإنسان فقط.

وأما ما يُعرف بالتوافق الدراسي، فهو طبقاً لجامع (جامع، ١٩٩٠) حالة نفسية معيّنة يصل إليها الفرد نتيجة علاقة التوازن والانسجام المستمر مع البيئة المدرسية الممثلة في العلاقات الاجتماعية الحميمة مع الآخرين، والمشاركة الإيجابية مع النشاط الاجتماعي، والاستثمار الجيد لأوقات الفراغ، والاتجاه الإيجابي نحو مواد الدراسة والعمل المدرسي ككلّ. فإذا كانت البيئة المدرسية هي عبارة عن جوانب اجتماعية وطبيعية، فإنه يمكن التعرّف على التوافق الدراسي من خلال حياة التلميذ الاجتماعية داخل مدرسته، ومن خلال شكل علاقاته مع زملائه ومعلّميه من ناحية، ومن ناحية أخرى من خلال أداء التلميذ لعمله الأكاديمي.

من ناحية أخرى، فإن التوافق محكوم عموماً بعدد من العوامل المتداخلة التي بتفاعلها يحدث التوافق أو سوء التوافق، وقد أجملها عيسى (عيسى، ١٩٩٦) في إشباع الحاجات الأولية والحاجات الشخصية، وتأثيرات الحالات الجسمية الفسيولوجية الخاصة، والمظاهر الجسدية والشخصية، والتعلّم والطفولة وخبراتها، والمستوى الاجتماعي والثقافي، والإنسان وذاته، والفئات التاريخية العصبية، والتغيير السريع، والصدمات والعوامل المباشرة، والقدرات العقلية.

ثالثاً: مفهوم التحصيل الدراسي

القياس والتقييم في التربية مصطلحان مختلفان، إذ يشير كل منهما إلى نوع معيّن من الإجراءات، غير أنهما يرتبطان ببعضهما البعض ليخدما غرضاً واحداً، هو اتخاذ القرارات التربوية أو إصدار أحكام معيّنة على الأهداف الموضوعة مسبقاً. وهناك عدد من الأدوات والأساليب التي يمكن أن يستخدمها المعلّم في قياس تعلّم الطلبة وتقييمهم، منها الملاحظة والمقابلات الشخصية، واللقاءات الفردية والجماعية، وتقارير الطلاب ومشروعات بحوثهم، والتقييم الذاتي، والاختبارات التحصيلية (أبو جادو، ٢٠٠٥: ٤٠٩ ــ ٤١٠).

ويعرّف علام (علام، ١٩٩٨) التحصيل المدرسي بأنه مدى استيعاب التلاميذ لما تعلّموه من خبرات معيّنة في مادة دراسية، ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها التلميذ في الاختبارات المدرسية العادية في نهاية العام الدراسي أو الاختبارات التحصيلية.

ويرى الخطيب (الخطيب، ١٩٩٣) أن التحصيل الدراسي هو وقوف الطالب على مرتكزات المادة الدراسية ومفرداتها التعليمية في ضوء محتوى المناهج وأهدافها. أما أبو القاسم (أبو القاسم، ٢٠٠١)، فيعرّفه بأنه حصيلة ما يكتسبه الطالب من خبرات ومعارف ومعلومات يمكن قياسها بالاختبارات التي صمّمت للكشف عن درجة التحصيل.

هذا المستوى التحصيلي للطالب يتأثر، كما يرى عبد القادر (عبد القادر، ١٩٨٨)، بعوامل، منها ما يتعلق بالطالب نفسه، وهي قد تكون عوامل عقلية، وعوامل شخصية، وعوامل اجتماعية، وأخرى دافعية. أما المجموعة الأخرى من العوامل، فهي متعلقة بالبيئة أو المدرسة، إضافة إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية. أما علاقة التحصيل الدراسي بالنوع، فقد ذكرت في كثير من الدراسات، ولكن هناك اختلافات بين هذه الدراسات في ما يتعلق بنفي أو تأكيد وجود فروق في التحصيل بين الجنسين. مثلاً، أكدت بعض الدراسات وجود فروق في التحصيل بين الذكور والإناث (توق [وآخرون]، ٢٠٠١)، بينما رأى آخرون أنه ليست هناك فروق تذكر في التحصيل الدراسي بين البنين والبنات (أحمد، ٢٠٠١).

يعتبر قياس التحصيل الدراسي من العمليات المهمة في مسار تحقيق الأهداف التعليمية، بل مكوّناً رئيسياً من مكوّنات العملية التعليمية، وهو وسيلة تمكّننا من معرفة التغيّر الذي طرأ على سلوك المتعلّمين، وكذلك هو عملية مستمرة لتقييم ومتابعة الأهداف التعليمية وترقيتها وزيادة فعاليتها (نشواتي، ١٩٩٦).

رابعاً: منهجية الدراسة

عموماً، تهتم هذه الدراسة بالبحث في علاقة النزوح ومدته بالتوافق العام والتحصيل الدراسي لدى طلاب المدارس الثانوية النازحين في مدينة زالنجي في ولاية غرب دارفور.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب لموضوعها، بحيث يساعد على إلقاء الضوء على جوانبها المختلفة عن طريق الوصف، والتحليل المركّز،

والفهم العميق لظروفها الحاضرة، وذلك بجمع المعلومات التي تفيد في توضيح أبعادها المختلفة.

يضمّ مجتمع الدراسة طلاب (تلاميذ وتلميذات) المدارس الثانوية النازحين في مدينة زالنجي، والبالغ عددهم ٧١٦ تلميذاً وتلميذة، منهم ٣٧٥ تلميذاً و٣٤١ تلميذة، ويتوزّع الطلاب على الصفوف الثلاثة في المدارس الثانوية.

يقيم الطلاب مع أسرهم في معسكرات النازحين، وتتراوح المدة التي أمضوها في المعسكرات بين عام واحد وثلاثة أعوام، ويدرسون في مدارس خاصة بالنازحين، أو في فصول مخصّصة في المدارس الموجودة أصلاً في المدينة، كما يوضّح الجدول الرقم (١):

الجدول الرقم (١)
التوزيع الصفّي لمجتمع الدراسة بالنوع

الصف الدراسي	النوع				المجموع	
	ذكور		إناث			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الأول	١٤٠	٣٧	١١٧	٣٤	٢٥٧	٣٦
الثاني	١٤٧	٣٩	١٣٢	٣٩	٢٧٩	٣٩
الثالث	٨٨	٢٤	٩٢	٢٧	١٨٠	٢٥
المجموع	**٣٧٥**	**١٠٠**	**٣٤١**	**١٠٠**	**٧١٦**	**١٠٠**

الجدول الرقم (٢)
أفراد مجتمع الدراسة بحسب مدّة الإقامة في المعسكرات والنوع

مدة الإقامة في المعسكرات	النوع				المجموع	
	ذكور		إناث			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
مدّة إقامة قصيرة (من سنة إلى سنتين)	١٨٤	٤٩,٠٦	١٤٥	٤٢,٥٢	٣٢٩	٤٦
مدّة إقامة طويلة (أكثر من سنتين)	١٩١	٥٠,٩٤	١٩٦	٥٧,٤٨	٣٨٧	٥٤
المجموع	**٣٧٥**	**١٠٠**	**٣٤١**	**١٠٠**	**٧١٦**	**١٠٠**

الجدول الرقم (٣)

مجتمع الدراسة بحسب مدّة الإقامة في المعسكرات والنوع والصفّ الدراسي

مدّة الإقامة في المعسكرات	النوع							
	ذكور				إناث			
	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	المجموع	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	المجموع
مدّة إقامة قصيرة	٦٤	٤٤	٧٦	١٨٤	٤٥	٤١	٥٩	١٤٥
مدّة إقامة طويلة	٨٢	٥٤	٥٥	١٩١	٧٣	٦٢	٦١	١٩٦
المجموع	**١٤٦**	**٩٨**	**١٣١**	**٣٧٥**	**١١٨**	**١٠٣**	**١٢٠**	**٣٤١**

نلاحظ من الجدول الرقم (٣) أن أفراد مجتمع العيّنة الذين أمضوا فترة قصيرة أو فترة طويلة يتوزّعون على جميع الصفوف الدراسية.

خامساً: عيّنة الدراسة

تم اختيار العيّنة بحسب نظام العيّنة العشوائية المنتظمة، بحيث تشتمل العيّنة على مجموعتين من الطلاب، وهي كالآتي:

ـ طلاب أمضوا فترة إقامة في المعسكر تتراوح بين عام وعامين، وهي تعرف بمدة الإقامة القصيرة.

ـ طلاب أمضوا فترة إقامة في المعسكرات أكثر من عامين، وهي تعرف بمدة الإقامة الطويلة.

ـ كما شملت العيّنة الطلاب من الجنسين (الذكور ـ الإناث)، وبذلك تكوّنت العيّنة من مجموعتين أساسيتين بحسب المدة التي أمضوها في المعسكرات، ومجموعتين أخريين بحسب النوع.

الجدول الرقم (٤)

أفراد العيّنة المختارة بحسب النوع ومدّة الإقامة في المعسكرات

المدّة التي أمضوها في المعسكرات	النوع				مجموع أفراد عيّنة الدراسة	
	ذكور		إناث			
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
مدّة إقامة قصيرة	٧١	٥٥	٥٢	٤٤	١٢٣	٥٠
مدّة إقامة طويلة	٥٧	٤٥	٦٥	٥٦	١٢٢	٥٠
المجموع	**١٢٨**	**١٠٠**	**١١٧**	**١٠٠**	**٢٤٥**	**١٠٠**

نلاحظ أن عدد أفراد العيّنة المختارة كانت ٢٤٥ تلميذاً وتلميذة، أي بنسبة ٣٤ بالمئة. أما عدد الذكور فكان ١٢٨، أي بنسبة ٣٥ بالمئة من مجتمع الدراسة، وعدد الإناث ١١٧، أي بنسبة ٣٤ بالمئة من مجتمع الدراسة، وقد جمعت البيانات خلال العام الدراسي ٢٠٠٦ ــ ٢٠٠٧.

وبلغ عدد التلاميذ والتلميذات الذين أمضوا فترة إقامة قصيرة في المعسكرات ١٢٣، أي بنسبة ٤٠ بالمئة. أما عدد الذين أمضوا فترة إقامة طويلة في المعسكرات، فبلغ ١٢٢، أي بنسبة ٣١ بالمئة من عددهم في مجتمع الدراسة.

سادساً: أدوات الدراسة

تم استخدام أداتين في هذه الدراسة، هما: استبانة لقياس التوافق العام، ودرجات الامتحانات العادية في نهاية العام الدراسي.

قام الباحث، مستخدماً الأداة **الأولى**، باقتباس عبارات هذه الاستبانة من مقياس «هيو م. بِل» لقياس التوافق العام، وذلك لما يوفّره المقياس من ميّزات، حيث إنه قاس التوافق في أربعة أبعاد: أسري، واجتماعي، وانفعالي، وصحي. وقد تمّت صياغة الاستبانة بحسب هذه الأبعاد الأربعة. وفي هذه الإطار، تم تصميم مقياس للتوافق يحتوي على بيانات أساسية عن المبحوث، وحوالى ٥٢ سؤالاً غطت الأبعاد الأسرية والاجتماعية والانفعالية والصحية للتوافق. كما روعيت في المقياس مسألة المواءمة مع البيئة السودانية، وتلك المحلية في دارفور. وللتأكد من صدق المقياس ومحتواه، تمّ عرضه على عدد من المحكّمين الذين تمّت الاستفادة من آرائهم وتعديلاتهم على بعض عبارات المقياس حتى تتناسب مع البيئة المستهدفة.

أما الأداة **الثانية**، فكانت مقدار ما تقيسه الامتحانات المدرسية في فصل دراسي محدّد، ممثلاً في مجموع درجات الطالب في المواد التي جلس لامتحاناتها بعد إكمال البرنامج الدراسي المحدّد.

● المنهج الإحصائي المستخدم

اعتمدت هذه الدراسة على الحاسوب في تحليل البيانات، وذلك باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وبعد إدخال البيانات وتحليلها تم عرض النتائج باستخدام الإحصاء الوصفي واختبار (ت).

سابعاً: نتائج الدراسة

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن الفرضيات التالية:

١ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات، والطلاب (التلاميذ والتلميذات) ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات في التوافق العام.

٢ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات، والطلاب (التلاميذ والتلميذات) ذوي الإقامة الأطول في

المعسكرات في التحصيل الدراسي، لصالح ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات.

٣ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات، والتلاميذ ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات في التوافق العام، لصالح ذوي الإقامة الأطول.

٤ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات، والتلاميذ ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات في التحصيل الدراسي، لصالح ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات.

٥ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلميذات ذوات الإقامة الأطول في المعسكرات، والتلميذات ذوات الإقامة الأقصر في المعسكرات في التحصيل الدراسي، لصالح ذوات الإقامة الأطول في المعسكرات.

٦ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلميذات ذوات الإقامة الأقصر في المعسكرات، والتلميذات ذوات الإقامة الأطول في المعسكرات في التوافق العام، لصالح ذوات الإقامة الأطول في المعسكرات.

٧ ــ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) المقيمين في المعسكر في التوافق العام.

٨ ــ هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) المقيمين في المعسكر في التحصيل الدراسي.

أ ـ تأثيرات النزوح في التوافق والتحصيل الدراسي بحسب مدة الإقامة في المعسكرات

يوضح الجدول الرقم (٥) نتائج اختبار (ت) لستة من فروض الدراسة. وكما في الجدول، فإن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمتها الجدولية تحت درجات حرية مختلفة عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ للفروض الستة، كلّ على حدة.

الجدول الرقم (٥)
نتائج اختبار (ت) لفروض الدراسة

الفرض	أفراد العيّنة		الوسط الحسابي		الانحراف المعياري		درجات الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية
	إقامة طويلة	إقامة قصيرة	إقامة طويلة	إقامة قصيرة	إقامة طويلة	إقامة قصيرة			
١	١٢٢	١٢٣	٣٨,٦٤	٣٤,٠٧	٥,٧٦٧	٥,٠٢٩	٢٤٣	٦,٦١٨	١,٩٦٠
٢	١٢٢	١٢٣	٣,٢٨	٢,٦٧	٢,٣٣	١,٣٦	٢٤٣	٦,٦١٨	١,٩٦٠
٣	٥٧	٧١	٣٩,٣٣	٣٤,٠٣	٦,٢٧٤	٤,٧٤٥	١٢٦	٥,٤٤٦	١,٦٤٥
٤	٥٧	٧١	٣,٥١	٢,٣٢	٢,٤٣	١,٤٢	١٢٦	٢,٥٨	١,٦٤٥
٥	٦٥	٥٢	٣,١٧	٢,٦٣	٢,٠٣	١,٣١	١١٥	١,٦٤٧	١,٦٤٥
٦	٦٥	٥٢	٣٨,٠٣	٣٤,١٢	٥,٢٥٦	٥,٤٤٠	١١٥	٣,٩٤٢	١,٦٦٤

(١) يهدف **الفرض الأول** إلى تحديد الفروق بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات، وذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات في التوافق العام، بغرض الوقوف على أثر مدة الإقامة في المعسكرات في التوافق العام. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٦,٦١٨، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ٢٤٣ تساوي ١,٩٦٠، وأن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، فإننا نستنتج وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وهي لصالح المتوسط الأكبر الذي هو لذوي الإقامة الأطول. هذه النتيجة متطابقة مع دراسات أخرى مثل دراسة الطاهر (الطاهر، ١٩٨٨)، التي أسفرت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق الاجتماعي بين طلاب السنة الثانية والسنة الرابعة للذكور، وكانت هذه الفروق لصالح طلاب السنة الرابعة. كذلك توضح النتيجة، وما توصلت اليه دراسات سابقة، أن طول الإقامة في المعسكرات أدى إلى تحسّن مستوى توافق التلاميذ والتلميذات طوال الإقامة بالمقارنة بالتلاميذ والتلميذات قصار الإقامة في المعسكرات. ويرجع تحسّن التوافق مع زيادة مدة الإقامة في المعسكرات إلى أن بداية الإقامة في المعسكرات ترتبط دائماً بالإحساس بعدم الأمن والاستقرار، وعدم وجود علاقات اجتماعية جيدة، بالإضافة إلى انتشار بعض الاضطرابات النفسية الناتجة من ذكريات النزوح وترك الموطن الأصلي. وقد أيدت دراسات سابقة أجريت في بيئات مختلفة صحة هذا التعليل (عبد الوهاب، ١٩٩٤، وإبراهيم، ١٩٩٨).

(٢) يهدف **الفرض الثاني** إلى تحديد الفروق بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات، والتلاميذ والتلميذات ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات في التحصيل الدراسي. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٦,٦١٨، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ٢٤٣ تساوي ١,٩٦٠، وأن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، فإننا نستنتج وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وهي لصالح ذوي الإقامة الأطول. ويمكن أن نعزو سبب الفروق إلى عامل أساسي هو ارتباط التحصيل الدراسي بالتوافق، فنجد أن التوافق الأفضل يؤدي إلى تحصيل دراسي أفضل، وهذه الآراء تتطابق مع نتائج دراسات سابقة (الطحان، ١٩٩٠، وعلي، ١٩٩٦).

كذلك نرى أن هناك أسباباً أخرى أدت إلى تحسّن التحصيل الدراسي، فمن هذه الأسباب الأسلوب الذي اتبعته إدارة التعليم في محافظة زالنجي في تعليم أبناء النازحين، وهو يقوم على مبدأ عدم الفصل بين الطلاب النازحين والطلاب النظاميين في معظم المدارس الثانوية، الأمر الذي أدى بهم إلى تكوين اتجاهات جيدة نحو أنفسهم ونحو الدراسة، مما أدى إلى تحسين التوافق لديهم مع طول الإقامة في المعسكرات الذي انعكس على مستوى التحصيل الدراسي.

(٣) يهدف **الفرض الثالث** إلى الوقوف على الفروق بين التلاميذ المقيمين في المعسكرات في التوافق العام، بغرض تحديد أثر المدة التي يمضيها الطلاب في المعسكرات في التوافق العام. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٥,٤٤٦، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ١٢٦ تساوي ١,٦٤٥، حيث إن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح ذوي الإقامة الأطول.

وتتفق هذه النتيجة مع عدد من نتائج الدراسات السابقة التي تؤكد أثر المدة في التوافق (الطاهر، ١٩٨٩، وجبريل، ١٩٦٠).

وبالنظر إلى نتيجة الفرضين الأول والثالث، وبناءً على الدراسات السابقة التي تم ذكرها، يتضح أن طول الإقامة في المعسكرات أدى إلى توافق أفضل. وبالرغم من أن ظروف النزوح هي ظروف خاصة، وفيها الكثير من المشكلات التي يمكن أن تؤدي إلى ضعف التوافق، إلا أن مستوى التوافق الاجتماعي للتلاميذ النازحين تحسّن بطول الإقامة في المعسكرات. ويمكن تفسير ذلك بأن البيئة الاجتماعية والثقافية للطلاب النازحين لم تتغيّر، فهم هجروا القرى إلى المعسكرات حول المدن أو داخلها، وبذلك فإن نسبة التغيّر الثقافي والاجتماعي تكون ضئيلة، الأمر الذي يقلل من أثر العوامل الثقافية في النازحين، وهو ما يساعد على تحسين التوافق مع مرور الوقت. وقد يكون ذلك مخالفاً لدراسات أخرى أجريت في بيئات مختلفة، حيث ساء التوافق لدى نازحي جنوب السودان في العاصمة الخرطوم نتيجة لاختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية عن مجتمعاتهم الأصلية (عبد الوهاب، ١٩٩٤).

(٤) يهدف **الفرض الرابع** إلى الوقوف على الفروق بين التلاميذ المقيمين في المعسكرات في التحصيل الدراسي، بغرض تحديد أثر المدة التي يمضيها الطلاب في المعسكرات في التحصيل الدراسي. لذلك يبحث هذا الفرض عن الفروق بين التلاميذ ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات، والتلاميذ ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٢,٥٨، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ١٢٦ تساوي ١,٦٤٥، فإن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية. وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وهي لصالح ذوي الإقامة الأطول. ويعزى سبب هذه الفروق إلى أن مستوى التحصيل الدراسي الأفضل يرتبط بالتوافق الأفضل، وأن مستوى التوافق الأقل يرتبط بقلّة التحصيل الدراسي. لذلك، ترتبط نتيجة هذا الفرض بنتيجة الفرض السابق التي توصلت إلى أن التلاميذ النازحين طوال الإقامة في المعسكرات هم أفضل في توافقهم، وذوي الإقامة القصيرة هم أقل توافقاً.

(٥) يهدف **الفرض الخامس** إلى الوقوف على الفروق بين التلميذات المقيمات في المعسكرات في التوافق العام، وذلك بغرض تحديد أثر المدة التي تمضيها التلميذات في المعسكرات في التوافق العام. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ١,٦٤٧، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ١١٥ تساوي ١,٦٤٥، فإننا نجد أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وهي لصالح ذوي الإقامة الأطول. وتتفق نتيجة هذا الفرض مع عدد من نتائج الدراسات السابقة التي تؤكد أثر المدة في توافق الطلاب (الطاهر، ١٩٨٩، وجبريل، ١٩٦٠). ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الطلاب ذوي الإقامة القصيرة هم طلاب في بداية تجربة الإقامة في المعسكرات، وبداية الإقامة في المعسكرات تصاحبها دائماً بعض المشكلات، مثل عدم الإحساس بالأمن في البيئة الجديدة، بالإضافة إلى أن ذكريات عملية النزوح المحزنة وهجر الديار موجودة، بالإضافة إلى عدد من الاضطرابات النفسية التي يمكن أن

تصاحب بداية النزوح. ويؤكد هذا ما توصلت إليه دراسة عبد الوهاب (عبد الوهاب، ١٩٩٤) من أن نسبة المصابين بالأمراض النفسية والعصبية كبيرة، ويرجع ذلك إلى الضغوط التي يعانيها النازحون. وعلى العكس من ذلك، نجد أن الطلاب الطوال الإقامة هم طلاب عاشوا تجربة الدراسة مع الإقامة داخل المعسكرات لفترة أطول، الأمر الذي أدى إلى تحسّن مستوى توافقهم إلى الأفضل، حيث إن طول الإقامة يؤدي إلى زيادة الإحساس بالأمن والحرية في سلوك الفرد، بالإضافة إلى قدرته على تكوين علاقات حميدة وجيّدة مع أفراد مجموعته في المعسكر، الأمر الذي أدى إلى تحسّن مستوى توافق الطلاب بالمقارنة بالذين أمضوا فترة إقامة قصيرة. ومن ذلك نجد أن مدة الإقامة في المعسكرات لها تأثير واضح في مستوى التوافق، فالإقامة الطويلة نتيجتها توافق أفضل، والإقامة القصيرة نتيجتها توافق ضعيف.

(٦) أما **الفرض السادس** فيهدف إلى الوقوف على الفروق بين التلميذات المقيمات في المعسكرات في التحصيل الدراسي، بغرض تحديد أثر مدة الإقامة في المعسكرات في التحصيل الدراسي للتلميذات. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٣,٩٤٢، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ١١٥ تساوي ١,٦٦٤، فإننا نجد أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك توجد فروق ذات دلالة إحصائية، وهي لصالح ذوي الإقامة الأطول.

هذه الفروق تعزى إلى أن التحصيل الدراسي المرتفع يرتبط بالتوافق الدراسي المرتفع. وكذلك التوافق الدراسي الضعيف يؤدي إلى تحصيل دراسي ضعيف. وبما أن الطلاب النازحين الطوال الإقامة هم الأفضل في توافقهم، والطلاب القصار الإقامة هم أقل في توافقهم، فإننا نجد أن التوافق الأفضل لدى أفراد عيّنة الدراسة أدى إلى تحصيل دراسي أفضل، وكذلك ضعف التوافق لدى الطلاب القصار الإقامة في المعسكرات أدى إلى تدنّي التحصيل الدراسي. وقد تأكدت هذه النتائج من خلال العديد من الدراسات السابقة (الطاهر، ١٩٨٨).

وخلاصة الأمر، يمكن القول إن مدة الإقامة في المعسكرات تؤثر تأثيراً مباشراً في التوافق الاجتماعي، والتوافق الاجتماعي يؤثر أيضاً تأثيراً مباشراً بدوره في مستوى التحصيل الدراسي، الأمر الذي أدى إلى ارتباط طول الإقامة في المعسكرات بالتحصيل الدراسي الأفضل، وقصر الإقامة بالتحصيل الدراسي الأضعف، إذا ما تمّت مقارنته بتحصيل ذوي الإقامة الأطول.

ب ـ تأثيرات النزوح في التوافق والتحصيل الدراسي بحسب النوع

كما سبقت الإشارة، فإن فروض هذه الدراسة هي ثمانية، ولذلك جاءت نتائج الاختبار في الفرضين السابع والثامن الباقيَيْن كما يلي:

(٧) **الفرض السابع**: هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ والتلميذات المقيمين في المعسكر في التوافق العام.

(٨) **الفرض الثامن**: هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ والتلميذات المقيمين في المعسكر في التحصيل الدراسي.

يوضح الجدول الرقم (٦) نتائج اختبار (ت) لاثنين من فروض الدراسة. وكما في الجدول، فإن قيمة (ت) المحسوبة أقل من قيمتها الجدولية تحت درجات حرية ٢٤٣ درجة عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ للفرضين، كلّ على حدة.

الجدول الرقم (٦)

تأثيرات النزوح في التوافق والتحصيل الدراسى بحسب النوع

الفرض	أفراد العيّنة		الوسط الحسابي		الانحراف المعياري		درجات الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية
	تلاميذ	تلميذات	تلاميذ	تلميذات	تلاميذ	تلميذات			
٧	١٢٨	١١٧	٣٦,٣٩	٣٦,٢٩	٦,٠٦٤	٥,٦٦٣	٢٤٣	.١٣٣	١,٦٤٥
٨	١٢٨	١١٧	٣,٦٢	٣,٤٥	٢,١	١,٢٢	٢٤٣	.٧٦	١,٩٦٠

يهدف **الفرض السابع** إلى الوقوف على الفروق بين التلاميذ والتلميذات في التحصيل الدراسي. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٠,١٣٣، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥ بدرجات حرية ٢٤٣ تساوي ١,٦٤٥، ونجد أن القيمة المحسوبة أصغر من القيمة الجدولية، فإننا نستنتج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية. وتشير هذه النتيجة إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) المقيمين في المعسكرات في التحصيل الدراسي. وهى نتيجة متفقة تماماً مع العديد من دراسات سابقة (سليمان، ١٩٩٦، وعيسى، ١٩٩٦). أيضاً، هناك نتائج مخالفة لهذه النتيجة، وكمثال نذكر دراسة سرحان (سرحان، ١٩٩٦) التي وجدت فروقاً ذات دلالة إحصائية في التحصيل الدراسي تُعزى إلى اختلاف الجنس، لصالح الإناث. ولكن هذا الاختلاف في النتائج يعزى إلى اختلاف العيّنات والبيئة التي أجريت فيها الدراسات، فدراسة سرحان (سرحان، ١٩٩٦) أجريت على طلاب أردنيين، وباقي الدراسات أجريت على البيئة السودانية، فاختلاف البيئة والثقافة يؤثر في أدوار البنين والبنات من خلال تحديد مفهوم معيّن للذكورة والأنوثة بحسب الثقافة والبيئة.

أما **الفرض الثامن** فيهدف إلى تحديد الفروق بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات) في التوافق العام. وبما أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي ٠,٧٦، وقيمتها الجدولية عند مستوى الدلالة ٠,٠٥، بدرجات حرية ٢٤٣ تساوي ١,٩٦٠، ونجد أن القيمة المحسوبة أصغر من القيمة الجدولية، فإننا نستنتج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ والتلميذات في التوافق العام.

وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة الطاهر (الطاهر، ١٩٨٨) التي توصّلت إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات البنين والبنات في كل متغيّرات التوافق العام المنزلي والاجتماعي والانفعالي. كما اختلفت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة الزيادي (الزيادي، ١٩٦٤) التي توصلت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين

الذكور والإناث على مقياس التوافق، وكانت هذه الفروق لصالح الذكور. وكما سبق، يرجع الاختلاف بين الدراستين إلى البيئة والثقافة، كما ورد تفسيره في الفرض السابع.

خاتمة وتوصيات

تناولت هذه الدراسة البحث في علاقة النزوح ومدته في التحصيل الدراسي والتوافق العام، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، وعلى عيّنة من الطلاب النازحين في منطقة زالنجي بولاية غرب دارفور.

من أهم نتائج هذه الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق العام والتحصيل الدراسي بين التلاميذ والتلميذات ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات، والتلاميذ والتلميذات ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات لصالح ذوي الإقامة الأطول.

كذلك توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب (التلاميذ والتلميذات، كلّ على حدة) ذوي الإقامة الأقصر في المعسكرات، والتلاميذ والتلميذات ذوي الإقامة الأطول في المعسكرات في التوافق العام والتحصيل الدراسي لصالح ذوي الإقامة الأطول. وأيضاً توصّلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ والتلميذات المقيمين في المعسكرات في التوافق العام والتحصيل الدراسي.

من خلال استعراض نتائج هذه الدراسة، تبدو واضحة الحاجة الماسّة إلى ضرورة وجود تعامل خاص، إدارياً وتربوياً ونفسياً، للطلاب النازحين في منطقة الدراسة، فهم يحتاجون إلى إدارة خاصة بهم، مع توفير الدعم المادي والمعنوي لها، ويحتاجون كذلك إلى داخليات خاصة بهم قد تسهم في تحسين البيئة لهم، مع توفير الإرشاد النفسي فيها. كذلك، لا بد من سدّ الثُّغَر البحثية في هذا المجال، ومحاولة توجيه هذه البحوث وما يخدم مشكلات النازحين. وفوق كل ذلك، يبقى من الضروري جداً الاهتمام بحلّ الإشكالات التي أدت إلى حدوث ظاهرة النزوح حلاً جذرياً وذا أثر واضح وكبير في حياة هؤلاء النازحين، أي استلهام الحلول المستدامة حتى لا تتكرّر هذه الظاهرة، وذلك نسبة إلى آثارها الوخيمة التي تتركها في المجتمعات عبر الزمن □

المراجع

إبراهيم، سلمى محمد (١٩٩٨). «أثر النزوح على التوافق النفسي والاجتماعي لدى النازحين بمعسكر السلام» (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد دراسات الكوارث واللاجئين، جامعة أفريقيا العالمية).

إبراهيم، عبد العظيم سليمان (١٩٩٩). «الآثار السياسية والاقتصادية للنزوح في العاصمة القومية، ١٩٨٣ ــ ١٩٩٨م» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان).

أبو جادو، صالح محمد علي (٢٠٠٥). **علم النفس التربوي**. عمّان: دار المسيرة.

أبو القاسم، هيام محمد (٢٠٠١). «مؤثرات النزوح على التوفق النفسي والاجتماعي والتحصيل الدراسي: دراسة مقارنة النازحين بمعسكرات السلام وأحياء السكن العشوائي بالخرطوم.» (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أفريقيا العالمية: معهد دراسات الكوارث واللاجئين).

أحمد، زينب محمد (٢٠٠١). «التحصيل الدراسي وعلاقته بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة لدى طلاب الصف الثالث الثانوي الأكاديمي بولاية الخرطوم.» (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية).

إدريس، ليلى (١٩٨٥). «الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنازحي إقليم شمال كردفان إلى أم درمان.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم).

توق، محيي الدين [وآخرون] (٢٠٠١). **أسس علم النفس التربوي**. عمّان: دار الفكر.

جامع، إسحق حسن (١٩٩٠). «أثر الانحرافات الجنسية على التوافق الدراسي والتحصيل الأكاديمي لدى طلاب المرحلة الثانوية بالعاصمة القومية.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرطوم).

جبريل، موسى (١٩٦٠). «تقدير الذات والتكيف لدى الطلاب الذكور.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة).

جلال الدين، محمد العوض (١٩٧٩). «الهجرة الوافدة والهجرة الداخلية في السودان.» (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإنمائية، جامعة الخرطوم).

الخالدي، أديب (٢٠٠٢). **المرجع في الصحة النفسية**. ليبيا: الدار العربية للنشر.

الخطيب، مها أحمد (١٩٩٣). «أثر كل من درجة الإستغلال المعرفي والتحصيل والجنس على قدرة التفكير الناقد للفئة العمرية ١١ ــ ١٤ سنة في المدارس الحكومية لمنطقة عمان الأولى.» (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان).

دسوقي، كمال (١٩٧٦). **علم النفس ودراسة التوافق**. بيروت: دار النهضة العربية.

الزغل، علي (٢٠٠٤). **تطور اللجوء والنزوح: التشريع والحماية والممارسة**. تحرير علي الزغل وعبد الباسط عثامنة. الأردن: جامعة اليرموك ــ إربد.

الزيادي، محمد (١٩٦٤). «دراسة العلاقة بين التوافق والتحصيل لدى مجموعة من الطلاب الجامعيين.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

سرحان، زياد مصلح (١٩٩٦). «الاتجاهات الوالدية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لطلبة المرحلة الثانوية بالأردن.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية).

سليمان، طارق عبد الرحمن (١٩٩٦). «اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية نحو معلميهم، وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية).

الطاهر، عبد الرحمن الشيخ (١٩٨٨). «دراسة العلاقة بين اتجاهات طلاب جامعة أم درمان الإسلامية نحو مناهج الجامعة وتوافقهم النفسي والاجتماعي.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم).

الطاهر، مي سليم (١٩٨٨). «الفروق في التكيف الأكاديمي بين المتفوقين وغير المتفوقين من طلبة الجامعة الأردنية.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القاهرة).

الطحان، محمد خالد (١٩٩٠). «العلاقة بين المفهوم والذات، وكلّ من التحصيل والتوافق النفسي.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإمارات).

عبد القادر، حامد (١٩٨٨). **دراسات في علم النفس**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

عبد الوهاب، انتصار (١٩٩٤). «الآثار الاجتماعية والنفسية للنازحين الجنوبيين.» (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم).

عثامنة، عبد الباسط (٢٠٠٤). «الآثار المختلفة للجوء والهجرات القسرية مع التركيز على الحالة الأردنية.» في: **تطور اللجوء والنزوح التشريع والحماية والممارسة**. تحرير علي الزغل وعبد الباسط عثامنة. الأردن: جامعة اليرموك ــ إربد.

عثمان، سيد أحمد (١٩٩٤). **علم النفس الاجتماعي: المسايرة والمغايرة**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢ ج.

علام، صلاح الدين (١٩٩٨). «العوامل المزاجية المساهمة في التحصيل الدراسي.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق).

علي، محمد الحافظ (١٩٩٦). «العوامل الميسرة لعملية التعلم لطلاب المرحلة الثانوية بولاية الخرطوم.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أمدرمان الإسلامية).

علي، محمد إسماعيل (٢٠١٠). «الآثار الاجتماعية لانعدام الأمن الاقتصادي.» مركز التنوير المعرفي (الخرطوم)، . < http://www.tanweer.sd >

عيسى، أنور أحمد (١٩٩٦). «دراسة التوافق الشخصي والاجتماعي والتحصيل الدراسي لأبناء العاملات: محافظة أم درمان.» (رسالة ماجستير غير منشورة).

فهمي، مصطفى (١٩٧٨). **التوافق الشخصي والاجتماعي**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

نشواتي، عبد المجيد (١٩٩٦). **علم النفس التربوي**. عمّان: دار الفرقان.

يعقوب، بخيت عبد الله (٢٠٠٦). «أسباب ظاهرة النزوح وانعكاساتها ومعالجاتها.» المنتدى الرسمي والشعبي.